

آليات تشكيل الأنساق في رواية نهاية طاغية لنجيب الكيلاني

Formation in the novel the end of a Tyrant by Najib Al-Kilani

ط.د. الجودي بن خليل⁽¹⁾ * أ.د. عيسى طيبي⁽²⁾

⁽¹⁾ ⁽²⁾ مخبر قضايا الأدب المغاربي، كلية اللغات والآداب، جامعة البويرة، الجزائر

d.benkhelil@univ-bouira.dz⁽¹⁾ a.taibi@univ-bouiradz⁽²⁾

تاريخ الاستلام: 2025/11/06؛ تاريخ القبول: 2026/06/06؛ تاريخ النشر: 2026/06/30

ملخص:

تهدف الدراسة إلى تناول عنصر النسق، وآليات تشكيله في النص الروائي، من خلال رواية "نهاية طاغية"، أنموذجاً، للكاتب نجيب الكيلاني (1931-1995)؛ مبتدئاً بمفهوم الأنساق، ثم آليات تشكيل الأنساق، - من خلال الجانب الشكلي والمضموني-، ثم خاتمة؛ ويهدف البحث إلى التطبيق على نماذج من الأنساق، وآليات تشكيلها في المدونة المدروسة. توصلت الدراسة إلى أنّ إبراز عنصر النسق في "نهاية طاغية" يترجم خلفيات نسقية لأبعاد دينية، وتاريخية وعرقية؛ وتقدم هوية بعض الولاة في مرحلة تاريخية من الدولة الإسلامية تميّز حكمهم بالظلم، والطغيان، فكانت نهايتهم العزل والمعاناة، وفي المقابل كانت عاقبة الذين صبروا على أذى هؤلاء الحكام النصر والفلاح. كلمات مفتاحية: الكيلاني آليات، تشكيل، الأنساق، طاغية.

Abstract:

This article addresses a crucial element in cultural criticism: the pattern (al-nasq) and the mechanisms governing its formation in narrative discourse—through an analytical reading of Naguib Al-Kilani's (1931-1995) novel The End of a Tyrant. The research starting by the concept of patterns, then explores the mechanisms of their

construction on both the formal and thematic levels,—before concluding with a summary. The research aims to apply this concept to examples of systems and their formation mechanisms within the studied corpus.

The study concluded that highlighting the element of pattern in "The End of a Tyrant" translates pattern-based backgrounds of religious, historical, and ethnic dimensions; it presents the identity of some governors in a historical period of the Islamic state whose rule was characterized by injustice and tyranny, resulting in their dismissal and suffering. In contrast, the outcome for those who endured the harm inflicted by these rulers was victory and success.

Keywords: Al-Kilani; mechanisms; formation; systems; tyrant

المقدمة:

جاءت المقاربة الثقافية في دراسة النصوص وتحليلها ضمن منحنى جديد في دراسة النصوص، وهي تركز على معالجة النصوص وفق خلفية ثقافية تعكس هوية واتجاهها يتركز على أبعاد مختلفة ومتعددة؛ فمن البعد الديني إلى البعد التاريخي، والبعد العرقي، وهو ما ترجمته أعمال أدبية لأدباء ونقاد ذوي توجه إسلامي؛ كان من بينهم الناقد عماد الدين خليل، والكاتب والروائي نجيب الكيلاني الذي كتب عديد الروايات؛ من بينها عذراء جاكرتا، عمالقة الشمال، ليالي تركستان، نهاية طاغية، هذه الأخيرة التي تناولت نهاية أمير المدينة هشام بن إسماعيل المخزومي، في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، وقد اتسم حكمه بالظلم والطغيان تجاه الرعية؛ خاصة آل بيت الرسول - صلى الله عليه وسلم - ممثلاً في علي زين العابدين ابن الحسين بن علي - رضي الله عنه -، وقد اعتمد الكيلاني في عرض هذه الرواية أسلوباً يرتبط بنمط ونسق معين يتعلق بالمنحنى التاريخي لفترة من فترات الدولة الإسلامية، تميز بعض حكامها بالظلم والجور تجاه المحكومين؛ وقد اعتمد على آليات تشكل هذه الأنساق، في بعدها الشكلي، من خلال اللغة الفاشية، الأنا والآخر، تفجير المسكوت عنه، وفي بعدها المضموني من خلال البعد الديني، التاريخي، والعرقي.

استهللت هذه الورقة البحثية بمعمارية النص، حيث قمت بتناول المجتزئ السردية بصفة موجزة، لأعرج على مفهوم النسق، ثم آليات تشكيل الأنساق (شكلاً)، ثم من ناحية

المضمون، ثم خاتمة.

1- معمارية النص (المتجزئ السردية):

العنوان الفرعي الأول:

يتناول الكاتب نجيب الكيلاني في روايته ((نهاية طاغية)) قصة حقيقية وقعت أحداثها في عهد خلفاء بني أمية، تحديداً خلال حكم عبد الملك بن مروان، ثم من بعده ابنه الوليد بن عبد الملك، حيث يبين فيها مختلف مظاهر استبداد الولاة ومعاناة الرعية من ذلك وهي تتطرق إلى موضوع ظلم ولاة الأمور للرعية، واستخدامهم مكانتهم للطغيان والتعسف في حق الرعية؛ بالأخص من يخالفونهم في آرائهم السياسية، على خلفية الهوية الدينية والتاريخية والقبلية؛ تبدأ الرواية بوجود الأمير في قصره، وقد حال الأرق دون نموه بسبب الهموم؛ التي سببها له علي زين العابدين (حفيد الخليفة علي بن أبي طالب)، الذي تعرّض إلى معاناة شديدة من هذا الأمير؛ ثم تنطلق أحداث الرواية، بتذكر الأمير هشام بن إسماعيل المخزومي كيف كانت معاملته للرعية؛ وخاصة علي زين العابدين ابن الحسين ابن علي، فتشتدّ معاناته لما يبلغه خبر عزله من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك، ويتقابل مع علي زين العابدين بعد عزله، الذي كان ينتظر أن ينتقم منه علي زين العابدين؛ لكن موقف ابن الحسين بن علي يعفو عنه؛ بل يذهب أبعد من ذلك فيطلب منه إن كانت له حاجة فإنه يقضيها له، وهنا تتعاظم معاناة الأمير ممّا يجد من موقف علي زين العابدين بن الحسين؛ وهي نهاية كل طاغية يظلم الناس فتكون نهايته الإبعاد والإحساس بالخزي ممن ظلمهم وهو الموقف الذي عايشه هذا الأمير.

1.1- أهم أحداث الرواية:

تبتدئ الرواية بوجود الأمير هشام بن إسماعيل المخزومي في قصره، وقد سهره الأرق نتيجة هموم، كما أطفأ الأنوار حتى يستطيع النوم؛ إنّه يفكر في أمر توليه إمارة المدينة المنورة، وكيف ظلم الرعية؛ ومن بينهم علي زين العابدين بن الحسين الشهيد؛ نتيجة المطاحات السياسية، وبعد أن توفي الخليفة عبد الملك بن مروان تولى بعدها ابنه الوليد بن عبد الملك الذي قام بعزله وتولية عمر بن عبد العزيز بدلاً عنه على ولاية المدينة؛ لكن إحساس الظلم يبقى يلاحق هشام بن إسماعيل المخزومي؛ خاصة بعد أن يبلغه خبر عزله من منصبه، فيكون موقف علي زين العابدين بن الحسين الذي اتّسم بالعفو والصفح

عنه، وهو الذي تعرّض له وآذاه نتيجة اختلافات في الحكم؛ سبباً لمعاناة هشام بن إسماعيل المخزومي النفسية، هكذا كانت نهاية طاغية من الطغاة في مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي عالجها الكيلاني في نسق من الأسلوب، أظهر فيه الكاتب الشخصية الفاسدة ممثلة في شخصية هشام بن إسماعيل المخزومي، وفي المقابل الشخصية التي تمثل الاستقامة والانتماء إلى النسل النبوي الشريف ممثلاً في شخصية علي زين العابدين بن علي صهر النبي (ص) وزوج ابنته فاطمة - رضي الله عنها - ضمن نسق تاريخي كشف هوية كل طرف في الحياة السياسية للمجتمع الإسلامي في تلك الفترة، فما هو النسق؟ وكيف يتشكّل؟ وما هي آلياته؟

2- مفهوم النسق:

ورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ((نَسَقَ: النون والقاف، صحيح يدلّ على تتابع في الشيء، وكلاماً نسق: جاء على نظام واحد قد عُطف بعضه على بعض، وأصله قولهم: ثَغُرْ نسق: إذا كانت الأسنان متناسقة متساوية))⁽¹⁾، إذن فكلّ ما تعلق بالنظام والتتابع والتناسق فهو يدلّ على النسق، كما يعرفه محمد مفتاح بقوله: ((النسق: عبارة عن عناصر مترابطة متفاعلة متميزة تبعاً لهذا، فإنّ كل ظاهرة أو شيء ما يعتبر نسقاً دينامياً))⁽²⁾، فهو يربط النسق بوجود عناصر مشتركة تتفاعل فيما بينها، وتكون في حالة نشاط دائم وتجدد؛ أو كما سمّاها محمد مفتاح نسقاً دينامياً.

أما الباحث عبد الله الغدامي فقد ذكره عندما تناول مفهوم الثقافة العربية، وتطرّق إلى أهمّ مصطلحاته؛ ألا وهو النسق، محدّداً إياه بقوله: ((... ما كان على نظام واحد، كما في تعريف المعجم الوسيط))⁽³⁾؛ فالنسق ينبني على وجود هيكلية واحدة، تتيح الحصول على صورة مطابقة لما هو متعارف؛ ويحدّده الغدامي أكثر من خلال وظيفته، ((التي يتحدّد النسق عبرها، وليس عبر وجوده المجرد، والوظيفة النسقية لا تحدث إلّا في وضع محدّد

(1) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر، مصر، 1399هـ/1979م، ج5، ص420.

(2) محمد مفتاح، المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 2010، ص135.

(3) عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 2005، ص76.

ومقيّد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب، أحدهما ظاهر والآخر مضمّر، ويكون المضمّر ناقضاً وناسخاً للظاهر⁽⁴⁾؛ من خلال هذا التعريف نخلص إلى أن النسق يرتبط بالبناء الهيكلي للخطاب وفق النظامين، الأول ظاهري مباشر، والآخر مضمّر يخفي وراءه دلالات أبعد، ترتبط بخلفيات؛ إما دينية، أو تاريخية، أو عرقية وغيرها من المرجعيات؛ لكن تشكّل هذا الأنساق يكون وفق آليات، فما هي آليات تشكّل هذه الأنساق؟

3- آليات تشكيل الأنساق في النص الروائي، نهاية طاغية.

1.3- تشكّل الأنساق:

يتمّ تشكيل الأنساق عبر آليات؛ محددة تكون من خلال الربط بين طبيعة العلاقة بين فئات المجتمع المختلفة كالمرأة والطفل؛ كما أشار إليه عبد الله الغدامي عندما تحدث عن هاتين الفئتين في المجتمع العربي بصفة خاصة، وكيفية معاملتها من قبل الهيئات الرسمية في الدولة، "وكلنا نعرف كيف جرت معاملة (ألف ليلة وليلة) التي اعتبرت ممّا لا يليق إلا بالصبيان والنساء وضعاف النفوس، وهذه صفات تكشف عن النسق الثقافي الذي وفقه الخطاب البلاغي الرسمي في نظريته إلى الآخر المختلف والضعيف كالمرأة والطفل"⁽⁵⁾، فهي لا شكّ نظرة فوقية لبعض مكونات المجتمع ممثلاً في النساء والأطفال؛ فهذه النظرة إلى بعض مكونات المجتمع تكون نسقاً معيناً في النظر إلى هاتين الفئتين الهشّتين في المجتمع (النساء والأطفال)، وفي جانب اللغة، فإن النظرة إلى اللغة ترتبط بنسق خاص يجسد هويّة المجتمع؛ حيث "إنّ اللغة هي نسق أو نظام من العلامات الإشارية التي تعبر عن الأفكار..."⁽⁶⁾؛ لأنّ النسق يرتبط بالّلغة التي تعبّر عنه وتوضحه، كذلك تستعمله في إيصال الرسالة إلى المستقبل لها، وقد ظهر نقد باسم النقد السياقي contextual criticism، وهو نقد يسمى باسم النقد الجديد ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية خاصة، وهو نقد شكلاني يدعو إلى قراءة النصّ وتحليله بعيداً عن

(4) عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المرجع نفسه، ص 77، بتصرف.

(5) عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المرجع السابق، ص 58.

(6) ينظر آرثر أيزنبرجر، النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء إبراهيم، رمضان بسطويس،

ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص 122

تدخل أية عناصر خارجية ومن بينها النصوص الأخرى⁽⁷⁾، وبالتالي فهو نقد مباشر للنصوص بعيداً عن أية تدخلات قد تطرأ في فهم النصوص: " .. إذ أنّ الخطاب الروائي خطاب يعتمد الآتية في تسلسل الأحداث بالعمل على خصائص تتعلّق بالشخصية وزمن السرد الذي تستغرقه الأحداث"⁽⁸⁾، وهو ما حاول نجيب الكيلاني تجسيده من خلال روايته نهاية طاغية.

حاولت تقديم آليات تشكيل الأنساق الواردة في النص الروائي من خلال إبراز الآليات في بعدها الشكلي والمضموني والمتمثلة في:

2.3 الآليات في بعدها الشكلي:

1.2.3- اللغة (فاشية اللغة):

ترتبط الفاشية بالرأسمالية؛ وفاشية اللغة...، تشمل فئة ((الشمولية)) مجموعة من مناهج تناول الفاشية، وهي لا تنفصل كلياً عن ((الغيرية))؛ لأنّ هذه الأخيرة تنظر إلى محاولة إقامة شكل من أشكال يوتوبيا ما قبل الحداثة على أنها مشروعاً شمولياً؛ كما تناولها السارد في المتن الروائي، على لسان أحد الأعراب وهو يخاطب الأمير هشام بن إسماعيل المخزومي فقال: ((وقال له : ياهشام يا ابن إسماعيل المخزومي أنت ظالم...))⁽⁹⁾، وكذلك تلك المرأة التي اعترضته في المسجد ذات يوم ولم يبدو من وراء لثامها غير عينيّن تبرقان بالثورة.. وصاحت في وجهه قائلة: ياهشام يا ابن إسماعيل المخزومي .. أنت ظالم ظالم؟؟ ولن ينفعك بنو أمية حين تقف أمام الله...))⁽¹⁰⁾؛ هنا نجد لغة قويّة من أفراد رعية بسطاء يخاطبون مسؤولاً في دولتهم بلغة صريحة لا تملق فيها ولا نفاق، وهذا المنطق يوّلّد عند البطل الإحساس بالدونية لكونه من البعيد؛ وهو ما يتكرر في قول، الأمير هشام بن إسماعيل المخزومي والي المدينة عن خلفاء بني أمية وكيف أنهم جعلوه وسيلة طيعة في ظلم

(7) ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، 2002، ص320، بتصرف.

(8) ناصر السيد النور، دلالات الخطاب الروائي، مجلة مسارات أدبية، العدد الأول، 15 أبريل 2019، ص4-8.

(9) نجيب الكيلاني، نهاية طاغية، ط1، الصفحة للنشر والتوزيع، مصر، 1437هـ/2015، ص05.

(10) المصدر السابق، ص07.

العباد من المسلمين، وقد عبّر عنه السّارد بقوله: ((..لكن مما يحزنني أنني كنت أداة غاشمة في يدهم.. أسلك أي، بل أبشع السبل للقضاء على منائهم))⁽¹¹⁾

كما تظهر فاشية اللغة كذلك قول الأمير هشام بن إسماعيل المخزومي وهو يخاطب زوجته بعد أن تذكّر ما فعله بالرعية من ظلم واضطهاد، ((..كنت بالأمس حذاء جديدًا في قدم الخليفة القديم يدوس به أعناق المعارضين والثائرين... أما اليوم فحذاء قديم مرقع يرمى به في الخرائب))⁽¹²⁾؛

كل هذه تعابير عن قوّة لغة الكيلاني في إبراز الحالة التي كان يعانها الأمير هشام بن إسماعيل الذي ظلم الناس خلال فترة توليه إمارة المدينة المنورة، وهي حالة كل ظالم يظلم الناس ويتعسف في معاملته إزاء الآخرين.

2.2.3 الأنا والآخر:

تتجلى ثنائية الأنا والآخر عندما وصف السّارد الأمير هشام بن إسماعيل المخزومي، وهو في حالة مقارنة بين نفسه وبين الرعية، وكيف أنه أخطأ في حق الآخرين فقال: ((إني أخطأت في حق البشر.. ويجب أن أخاف الخليفة وأخاف الله... والإيمان في هذه الظروف هو إيمان الذي يوقن بالشر يأتيه ويظل على نار الانتظار.. ولهذا تعذبني الذكريات وتدور في نفسي كهواجس..))⁽¹³⁾

تختلف مظاهر الأبهة لدى الأمير هشام إسماعيل المخزومي، الذي يمثل الأنا، والأمراء والولاة في عهد الدولة الأموية بصفة عامة، فقد ذكر السّارد أن (القصر الذي يعيش فيه قصر فخم .. تضوع في جنباته الروائح الشذية؟ وحجراته مفروشة بالأثاث الجميل الذي يتناسب مع والي (المدينة) وأميرها الذائع الصيت.. والخدم والعبيد تحت أمره)⁽¹⁴⁾؛ بينما يعيش الآخر عامة الشعب في بؤس ومعاناة، وهذا يبين اختلاف ما بين الأنا (الحاكم)، والآخر (الرعية).

(11) المصدر نفسه، ص 10.

(12) المصدر نفسه، ص 10، 11.

(13) نهاية طاغية، ص 13.

(14) المصدر نفسه، ص 03.

3.2.3 تفجير المسكوت عنه:

يبرز تفجير المسكوت عنه من خلال الإسقاط على ممارسة حكام العرب والمسلمين، عبر العصور، والذي يعدّ الأمير هشام بن إسماعيل المخزومي عيّنة عن هذه الطبقة؛ من جانب آخر نجد معاناة النفس مع تأنيب الضمير لما راجع الوالي هشام بن إسماعيل المخزومي نفسه، واعترف بأخطائه تجاه الرعية فنقل السارد ذلك الشعور قائلاً " إني أخطأت في حق البشر ويجب أن أخاف كخليفة وأخاف الله.. والإيمان في هذه الظروف هو إيمان الذي يوقن بالشرّ يأتيه ويظل على نار الانتظار.. ولهذا تعذبني الذكريات وتدور في نفسي الهواجس.. "، ⁽¹⁵⁾ هنا نجد حديث السارد عن تأنيب الضمير ويكشف معاناة من يظلم الناس، ويتسبب في معاناتهم.

4 آليات تشكيل الأنساق مضموناً (الأبعاد):

1.4 البعد الديني:

يظهر البعد الديني في رواية نهاية طاغية من خلال إبراز مظاهر الفساد التي تميّز بها ولاية الأمور في عهد الدولة الأموية؛ من بينهم والي المدينة المنورة؛ هشام بن إسماعيل المخزومي الذي أبان عن بعد عن الدين حينما قام بتعذيب أحفاد الخليفة علي بن أبي طالب؛ ومن بينهم زين العابدين بن الحسين بن علي الذي تعرّض إلى أشدّ أنواع العذاب من قبل هذا الأمير، فقد عبّر عن ذلك السارد لما تطرق إلى سوء معاملة هذا الأمير لحفيد الإمام علي - رضي الله عنه- فقال: " وعلي زين العابدين لكم تعرّض له هشام بالإيذاء واعترض طريقه، وهاجمه في عنف بالغ لا هوادة فيه.. حتى ضج الناس بالشكوى واستجاروا ولا مجير. والدماء التي سالت باسم أمن الخلافة.. باسم الدين " ⁽¹⁶⁾، هنا يظهر البعد الديني الذي يمثل سوء معاملة ولاية الأمور في زمن الدولة الأموية للرعية؛ ومن بينهم ذرية الإمام علي - رضي الله عنه-؛ انطلاقاً من خلافات سياسية تلبّست لبوس الدين الإسلامي؛ حول الأحقية بالخلافة في عهد الخليفة علي - رضي الله عنه- ومن جاء بعده.

كما يظهر البعد الديني في جانبه المقابل من موقف علي زين العابدين بن الحسين من

(15) نهاية طاغية، ص 13.

(16) المصدر نفسه، ص 07.

الوالي هشام بن إسماعيل المخزومي؛ لما قابل ما قام به هذا الوالي تجاهه، بعدما تمّ عزله من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك، وقد أحس بمرارة العزل؛ لكن زين العابدين ألقى عليه التحية قائلاً: " السلام عليك يا هشام .. ومدّ يده يصافحه، ومهرّ يده، ويمسك بها، ومدّ هشام يده، ثم أسلم نفسه إليه وخفض رأسه وبكى وقال زين العابدين: إن كان لك حاجة فأنا قاضها لك، وإن كان عليك دين من ولايتك فإننا نقضي عليك دينك" (17)؛ فهذا يبين طبيعة وأخلاق أسباط الرسول ﷺ في معاملة من ينائوهم من الحكام والولاة في عهد الدولة الأموية.

2.4 البعد التاريخي:

نرصد تطرّق السّارد إلى ما اتّسمت به فترة الأمويين من صرعات حول الحكم وكان للأمراء؛ - من بينهم الأمير هشام بن إسماعيل المخزومي- دور في تثبيت حكم بني أمية؛ فقد وصف السّارد لحظات عاشها هذا الأمير بعد أن تذكر ما فعله بالمنائين لحكم بني أمية ومن بينهم أحفاد الخليفة علي - علي زين العابدين ابن الحسين- فقال على لسان الأمير هشام بن إسماعيل المخزومي، " أنا لا أفكر في الخلافة إلّا من خلال وضعي الشائك وماضي المليء بالحوادث والصراع الدامي" (18)، وهذا يؤرخ لوضع عاشها هذا الأمير مع المخالفين له من المعارضة ومن بينهم أحفاد علي -رضي الله عنه- وكيف كان يضطهدهم من أجل الخلافة الأموية .

كما يظهر هذا البعد على لسان الوالي هشام بن إسماعيل المخزومي عند الحديث عن والي العراق، الحجاج بن يوسف حيث ذكره السّارد للاستشهاد فقال: " تمامًا مثلما يفعل الحجاج بن يوسف في العراق..الظلام مليء بشقى الصور.. والأشباح .. والضحايا" (19)، فقد ذكر السّارد الوالي الحجاج بن يوسف لبطشه بأعداء الدولة الأموية والمخالفين لتوجهاتها من السياسيين وذلك ضمن البعد التاريخي؛

(17) المصدر نفسه، ص31.

(18) نهاية طاغية، ص06.

(19) المصدر نفسه، ص08.

إضافة إلى ذلك يتجلى هذا البعد أيضاً في إظهار كيفية معاملة ولادة الأمور في عهد الدولة الأموية لأبناء علي - رضي الله عنه- من خلال الإساءة إليهم؛ ومن بينهم زين العابدين بن الحسين؛ وقد خاطب الأمير إسماعيل بن هشام المخزومي عبده وقد أحضروا زين العابدين، قائلاً له: "من هو أيها الوغد...؟"

" - هذا زين العابدين بن الحسين يا سيدي الأمير ..

فهتف مغتاضاً:

- إلي به في الحال، سوقوه إلي دون شفقة.. إنه يناهض بني أمية، ويعارض سياستهم...؟⁽²⁰⁾

تطرق السارد إلى بعض الجوانب التاريخية؛ المتعلقة بأجناس غير عربية كانت تخدم في الدولة الأموية كعبيد، وقد تمثل ذلك في قول السارد على لسان الأمير هشام بن إسماعيل المخزومي: " في نفس الوقت هتفت بالعبد الأعجمي كي يقبل عليّ لكنه قهقه ساخرًا وأتاني بكأسه ثم ضغط بأصابعه الغليظة على وجهي وبين فكي، حتى أرغمني على فتح فكي وهو يقول: -اشرب.. نفس الكأس.."⁽²¹⁾، بعد أن تم عزل الوالي هشام بن إسماعيل المخزومي من قبل الخليفة؛ وقد قدم عليه عبد حبشي بكأس نتنة سيئة المذاق؛ وذلك في إشارة إلى وجود عناصر عرقية غير عربية، ممثلة في عنصر الأعاجم من غير العرب، وقد دخلوا قصور الأمراء في عهد الدولة الأموية وكيف أنهم استطاعوا أن يبلغوا شأواً عظيماً، إلى درجة تهديد ولادة الأمور بمباشرة عقوبتهم بعد توجيهه من الخليفة الوليد بن هشام .

ومن المواقف التاريخية الأخرى في عهد الخلافة الأموية طريقة العزل من المنصب التي كانت تتم عن طريق رسالة من الخليفة إلى الوالي تحمل فقط كلمة (عزل) كما أورد السارد، لما تم إبلاغ الأمير هشام بن إسماعيل المخزومي بهذا القرار وتولي الأمير عمر بن عبد العزيز الإمارة من بعده فقال: " ..كلمة واحدة كانت واضحة وكأنها محفورة في الرقعة: (العزل) لقد حكم القضاء وعزل هشام وانتهى الأمر ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ولي

(20) نهاية طاغية، ص18.

(21) المصدر نفسه، ص20.

الأمر من بعده عمر بن عبد العزيز الشاب ذو الخمسة والعشرين ربيعاً⁽²²⁾؛ هذا يبين نمط التسيير في الحكم إبان تلك الفترة من عهد الخلافة الإسلامية؛ وكيف يتم تغيير المسؤولين وفقاً لمتطلبات كل مرحلة؛ وكان تصرف خادماً الأمير قاسياً مع الأمير المعزول بحيث وجه له عبارات عنيفة تفيد الإبعاد والتخلي عنه قائلاً له: " اخرج أيها الوغد"⁽²³⁾، وهذا يبين مقدار نظرة الازدراء والاحتقار للمسؤول بعد أن تُنزع عنه المسؤولية ويصير مثل باقي الناس؛ وهو ما عايشه الأمير هشام بن إسماعيل، بعد ما تمّ عزله من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك.

3.4 البعد العرقي:

برز في المتن الروائي وجود أعراق متعددة: إضافة إلى العرق العربي، نجد العرق الأسود كعبيد وخدام في الدولة الأموية؛ وذلك لدى أمراء الإمارات والولايات الإسلامية، في مهام متعددة؛ ومن بينها خدمة ولاية الأمور داخل قصورهم؛ مثلما تطرّق إليه السارد لما تعرّض إلى خادماً الأمير هشام بن إسماعيل المخزومي وذكر العرق الذي ينتمي إليه ممثلاً في العرق الحبشي قائلاً على لسان الأمير هشام بن إسماعيل المخزومي، وقد اشتمّ قرب عزله من الخليفة: " ما الذي أبقاك يا عبد السوء؟"⁽²⁴⁾؛ ثم يضيف الأمير مخاطباً هذا العبد " - أنت العبد الأعجمي الذي رأيته. فقال العبد وهو في شبه انحناء: كلا يا مولاي.. بل خادمك الأمين.. لست أعجمياً لكن حبشياً"⁽²⁵⁾؛ كما كان من العبيد ممن كُلف بالتعذيب.

يتجلى البعد العرقي من خلال التطرّق إلى مختلف مكونات المجتمع العرقية؛ من عرب وسود، وإثنيات اجتماعية مختلفة؛ مثلما كان الحال مع الوالي هشام بن إسماعيل المخزومي والي المدينة المنورة؛ فقال: " . . . وعبد أسود يرفع سوطه ثم يهوي عليه.. وعلى فمه ابتسامة ساخرة"⁽²⁶⁾؛ فهذا يبيّن استعمال فئة العبيد من قبل الحكام في تعذيب من يرون تعذيبهم حتى ولو كانوا أمراء من قبل عزلهم، وهؤلاء يتلذذون في القيام بهذه المهمة؛ وتكون

(22) المصدر نفسه، ص 27.

(23) المصدر نفسه، ص 28.

(24) نهاية طاغية، ص 27.

(25) نهاية طاغية، ص 27.

(26) المصدر نفسه، ص 31.

فئة عبید الحبشة، من الأعراق المشكلة للمجتمع العربي الإسلامي في تلك الفترة إضافة إلى الأعراق الأخرى. وهنا نذكر دور العرق وعلاقته بمكونات المجتمع العربي الإسلامي؛ من العرق الزنجي، إلى العرق الفارسي، والرومي وغيرها من الأعراق التي شكّلت الدولة الإسلامية في بداية عهدها، وعبر مختلف مراحلها.

خاتمة:

خلصت هذه الدراسة التي تناولت آليات تشكيل الأنساق في رواية نهاية طاغية إلى النتائج التالية :

- تستذكر الرواية الماضي من خلال إحياء وقائع في زمن مضى؛ تمثلت في نهاية أمير ووالي حكم إحدى الولايات الإسلامية المهمة (المدينة المنورة)؛ وهو الأمير هشام بن إسماعيل المخزومي، في نسق تاريخي، يبين مرحلة من تاريخ الدولة الإسلامية، وكيف كانت معاملته للمعارضين؛ ومن بينهم آل النبوة علي زين العابدين بن الحسين بن علي ؑ سبط الرسول ﷺ بالإساءة والتعذيب؛ وقد تجاوز عن إساءاته القديمة؛ في نسق ديني تربى عليه آل النبوة في معاملة الآخرين.

- إنّ عنصر النسق بدا واضحاً في هذا العمل الأدبي؛ بحيث إنّ مجمل أحداث الرواية تعبر عن خلفيات نسقية في الواقع العربي والإسلامي؛ ممثلاً في نهاية الظلم والطغيان لكلّ من تحمّل مسؤولية، فأساء استغلالها ووظفها من أجل إرضاء المسؤولين عليه، فتكون نهايته الخروج من الباب الضيق؛ ويكون عرضة للخزي والذل أمام الجميع.

- تميّز أسلوب نجيب الكيلاني باستخدام قليل للأسماء في الرواية، فلا نجد إلا بعض الشخصيات، مثل الشخصيات الرئيسية، ممثلة في الوالي هشام بن إسماعيل المخزومي، وزوجته، إضافة إلى شخصية علي زين العابدين بن الحسين،

- تظهر الأبعاد النسقية في الرواية، ممثلة في البعد الديني الذي يظهر الهوية الإسلامية المتشعبة بالثقافة الإسلامية التي ربّاه عليها الرسول ﷺ والتي تجسدت في شخصية علي زين العابدين بن الحسين بن علي سبط الرسول ﷺ، والتي تميّزت بالتسامي والروح العالية في الثبات على موقفها، والدفاع عنه بكل أدب واستماتة؛ بينما تظهر شخصية هشام بن إسماعيل المخزومي كهوية طاغية ظالمة؛ تدافع عن الذي عيّن من

حكام بني أمية ضدّ المعارضين لحكمها، وقد استعملت كل وسائل البطش والاعتداء تجاه هؤلاء المعارضين، فكانت نهايتها الخزي والذل بسبب مواقفها ضد هؤلاء المعارضين.

- يبدو البعد العرقي في الرواية، من خلال شخصيات ذات العرق الأسود والحبشي، وهي طبقة ممثلة في العبيد الذين يخدمون في بيوت الحكام سواء لدى الأمير هشام بن إسماعيل المخزومي، أو لدى الخليفة الأموي، وهو يبين النسق العرقي في الرواية.

المراجع:

المصادر:

- الكيلاني، نجيب، نهاية طاغية، ط1، الصحو للنشر والتوزيع، مصر، 1437هـ/2015.

المراجع:

- الكتب العربية:

- ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، د ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1399هـ/1979م.

- الغدامي، عبد الله، القبيلة والقبائلية، أو هويات ما بعد الحداثة، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2009.

- الغدامي، عبد الله، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط3، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005.

- مفتاح، محمد، المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي، ط2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2010.

- الرويلي، ميجان، البازعي، سعد، دليل الناقد الأدبي، ط3، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2002.

- الكتب المترجمة:

- إيزا برجر، النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ط3، المجلس الأعلى للثقافة، 2003.

- المجالات:

- ناصر السيد النور، دلالات الخطاب الروائي، مسارب أدبية، العدد1، السودان، عدد 2019/04/15.